

## ظهور الاتجاه الاصلاحى

اقترن ظهور هذا الاتجاه مع الفشل المتكرر الذي منيت به حكومة المانشو في الدفاع عن سيادة البلاد وقيام سلسلة من الحركات الثورية التي أوشكت أن تطيح بحكومة المانشو . فكان والحال هذا أن ظهر تياران تبنيان الدعوة للإصلاح كل وفق لما أرتأه. التيار الاول ظهر بين بعض الموظفين في الاوساط الحكومية المتقنين ثقافة تقليدية الذين أوشك ان يسحب البساط من تحت اقدمهم ، دعا الى التحديث للحفاظ على نظام الحكم الذي هزت عروشها الحركات الثورية فنتج عن ذلك تطبيق حركة التعزيز الذاتي . ولكن في سياق آخر ظهر تيار في أوساط المتقنين ثقافة غربية والذين هالهم ما تعرضت له البلاد من حروب وتدخل اجنبي فدعوا الى ضرورة اصلاح نظام الحكم نفسه وتحديث بقية مؤسسات الدولة ، ولاسيما بعد فشل حركة التعزيز الذاتي ، اوجاء ذلك في سياق ما عرف في التاريخ بحركة اصلاح المئة يوم عام 1898 .

### 1- حركة التعزيز الذاتي 1860-1895

سعت هذه الحركة الى تحديث الصين مع المحافظة على النظام السياسى والاجتماعى القديم، والى استعادة حكومة المانشو لسلطتها على الاقاليم بالقضاء على الحركات الثورية وذلك بالاستعانة بالتقنيات الغربية الحديثة، ومحاولة تحديث مؤسسات الدولة . وتزامن ذلك مع بداية عهد الإمبراطور الصغير تونغ شى (1861-1875)، الذي أوصى والده شيان فينغ (1850-1860) قبل وفاته بتشكيل مجلس وصاية له، يتكون من كبار زعماء المانشو، غير ان والدة الإمبراطور، يهونالا التي طمعت بالاستيلاء على السلطة، دبرت مؤامرة مع رونغ لو احد حراس القصر ، والامير كونغ شى الأخ الأصغر للإمبراطور شيان فينغ، وتم القاء القبض على اعضاء مجلس الوصاية واعدامهم وعينت يهونالا وصية على الامبراطور باسم تزو هسي اي الامومة السعيدة وقد عرفت باسم بوذا العجوز في أوساط الشعب في حين بقيت تعرف في الوثائق الاجنبية باسم دواجر أي الإمبراطورة الأرملة . حتى وفاتها عام 1908 امتازت هذه الامبراطورية برجعتها وفسادها وقدرتها على حيك الدسائس والمؤامرات وعدائها الشديد للأجانب ومعارضتها لكل محاولة تحديث وبقية مسيطرة على السلطة حتى وفاتها.

وقف التيار المحافظ في البلاط يؤيد تزوهسى ضد محاولة التحديث التي طالب بها بعض حكام الأقاليم من مؤيدي تيار الانفتاح على الدول الغربية. وكان هؤلاء الحكام ممن أسهموا بشكل فاعل في القضاء على الحركات الثورية ، ولاحظوا مدى أهمية التقنيات الحديثة في إقرار سلطة الدولة، وأبرزهم تسينغ كوفان، لي هونغ تشانغ، تسوتسونغ تانغ، تشانغ تشي تونغ والامير كونغ شى. وفي ضوء ذلك رفعوا التقارير الى الحكومة لحثها على الأخذ بمظاهر التحديث والسماح لهم بالشروع بها في الأقاليم . ويبدو ان الحكومة اضطرت الى موافقتهم على ذلك، ولو بصورة جزئية، لأنها كانت بحاجة اليهم في إقرار سلطتها في تلك الأقاليم.

وفي السياق نفسه جاء إنشاء التسونغ لي يامن (دائرة الشؤون الخارجية) في عام 1861، بادرة لعمليات التحديث، إذ أدرك أنصار التحديث صعوبة القتال على جبهتين، جبهة الحركات الثورية، وجبهة الدول الغربية. فجاء إنشاء هذه الدائرة لتنظيم العلاقات الخارجية على وفق الأسس المتبعة في القانون الدولي. وكان لهذه الدائرة أثر كبير في عمليات التحديث إذ تم عن طريقها الاتصال بالدول الغربية والاستعانة بخبرائها. يضاف الى ذلك كان لدائرة الكمارك أثرا في اكتساب الصينيين لبعض الخبرات والكفاءات الإدارية، و كان يدير هذه الدائرة موظفون بريطانيون مثل ه.ن.لاي، ثم روبرت هارت، الذي حل محله عام 1863. وكان يعمل فيها 500 موظف اجنبي يمثلون 16 دولة غربية وأكثر من 2000 صيني، لإدارة كل الموانئ الصينية المفتوحة.

وقد بادر انصار حركة التعزيز الذاتي لاجراء سلسلة من الاصلاحات العامة بهدف المحافظة على النظام الاقطاعي الكونفوشيوسي، الذي كان الضمان الوحيد لقبائهم في السلطة. وضمن هذا السياق تم إقامة عدد من مصانع الأسلحة والترسانات البحرية وأحواض السفن في شنغهاي ونانكنغ وهانغتشو وفوتشو وتيانجين وخطوط الملاحة البحرية والنهرية وسكك الحديد والتلغراف والبريد ومناجم الفحم ومصانع الحديد والصلب والنسيج. وعملوا على تقوية الاقتصاد الوطني، وإنشاء المدارس التي تعنى بدراسة الرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم التي تتعلق بالتكنولوجيا الحديثة.

ويزاد على ما تقدم تم إنشاء مدارس خاصة باللغات والترجمة، والقيام بإرسال البعثات العلمية الى الخارج لاكتساب العلوم والمعارف، وكان لهذا التوجه نتائج ايجابية وسلبية في ان واحد. فمن الناحية السياسية أدى إنشاء ترسانات ومخازن الاسلحة واحواض بناء السفن الى ازدياد سلطة وقوة حكام الاقاليم على حساب السلطة المركزية. وان الاعتماد على المهندسين الاجانب في بناء تلك المؤسسات الصناعية، مكن الدول الاجنبية من امتلاك معلومات دقيقة عنها ساعدتها على تحطيمها في الحروب، كما هو الحال مع أحواض بناء السفن الصينية التي أنشأت بمعونة الخبراء الاجانب والتي حطمتها القوات الفرنسية أثناء الحرب الصينية. الفرنسية عام 1885، كما ان حركة التعزيز الذاتي حافظت على النظام الاقطاعي، ولم تحاول اصلاح نظام الحكم. وساعدت على ظهور الطبقة البرجوازية واشرت بداية نشوء الطبقة العاملة وطبقة من الصينيين المثقفين ثقافة غربية.

وعلى الرغم من ذلك فان هذه الحركة كانت اضعف من ان تنهض بالصين نهضة فعالة، ولم تتمكن من مجارات اليابانيين في نهضتهم، إذ تمكن اليابانيون بعد خمسة عشر عاما من انفتاحهم على العالم الغربي، من القضاء على النظام الاقطاعي، واقاموا في عام 1868 نظاما جديدا مكنهم من الاقتباس من الغرب مع المحافظة على تنظيمهم الوطني وخصوصيتهم. وذلك من خلال المزاجية بين اخلاقيات الشرق والفكر الغربي وإقامة صناعة وطنية وحكومة عصرية قائمة على الدكتاتورية المطلقة. واجراء اصلاحات جوهرية شملت كل ميادين الحياة. في حين ظل الصينيون يتخبطون في محاولتهم لتقوية البلاد بوجه التدخل الاجنبي، والتحديات الداخلية، مع المحافظة على الانماط الفكرية القديمة وتطبيق الابتكارات الحديثة. وبذلك فإنهم لم يتمكنوا من انهاء النظام القديم واقامة نظام عصري حديث. وقد ظهرت نتائج هذا التباين في الاستجابة للتحدي الغربي، في الحرب الصينية. اليابانية عام 1894-1895. التي اسفرت عن هزيمة الصين امام جارتها اليابان، وهي الأقل منها حضارة وموارد اقتصادية

وبشرية، وتكبيرها بمعاهدة شيمونسيكي في نيسان عام 1895، والتي اعترفت الصين بموجبها باستقلال كوريا، وتخلت عن شبه جزيرة لياوتونغ جنوبي منشوريا بما فيها ميناء بورت آرثر ودايرن، فضلاً عن تخليها عن جزيرة فرموزة (تايوان) وبسكادورس لليابان، وفرضت على الصين غرامة حربية قدرها 200 مليون تايل فضة (165 مليون دولار) وحصلت اليابان على حق الدولة الأولى بالرعاية، وفتح العديد من الموانئ الصينية للتجارة الأجنبية، واعترفت بحق اليابان في إقامة مصانع لها على الأراضي الصينية.

وقد شجعت هذه الامتيازات التي حصلت عليها اليابان، الدول الأوروبية والولايات المتحدة على الحصول على العديد من الامتيازات التي أنزلت الصين الى منزلة دولة شبه مستعمرة . ومن ثم اندفع العديد من الصينيين للبحث عن حل للآزمة الوطنية ولاسيما بعد ان أثبتت حركة التعزيز الذاتي فشلها في الحفاظ على سيادة البلاد واستقلالها. فدعا بعضهم للتمسك بالقيم الكونفوشيوسية، في حين اكد بعضهم الآخر على ضرورة الإفادة من تجربة اليابانيين في النهضة، وعليه ظهر تيار دعا الى الشروع بحركة اصلاحية واسعة.

## 2- الحركة الإصلاحية 1898

أسهمت جملة امور في ظهور اتجاهين احدهما اصلاحي والآخر ثوري ديمقراطي في تلك الآونة نشأ كلاهما في جنوب الصين . منها ازدياد حجم التحديات الأجنبية، والعجز التام للحكومة الصينية، دبلوماسياً وعسكرياً، في الدفاع عن الصين ضد القوى الأجنبية ، ومعارضة القوى الرجعية الاقطاعية في السلطة لكل محاولات التحديث، والتغيرات التي طرأت على المجتمع الصيني، والمتمثلة بولادة الطبقة البرجوازية .

قاد التيار الاصلاحى كانغ يويو الذي كان يشغل منصب الأمين المساعد في وزارة الأشغال، والذي كان لنشأته في كانتون، أسبق الموانئ تعرضاً للمؤثرات الخارجية واستقبالها للجانب، اثراً كبيراً في الايمان بفكرة الاصلاح، والتي دعا الامبراطور كوانغ شيوي تبنيها . وذلك من خلال سلسلة عرائض قدمها اليه في المدة (1888-1898)، ففي اولى هذه العرائض السبع حذر الامبراطور من الخطر المحدق بالبلاد من الخارج، وخطورة الوضع في الداخل إذ انه ينذر باندلاع ثورة على غرار ثورة التايبينغ، في حال ازدياد تذمر الشعب، وعليه فان على الحكومة اجراء اصلاحات مباشرة وسريعة، لتلافي تلك الاخطار، غير ان هذه العريضة لم تصل الى الامبراطور. إذ حال دون ذلك بعض الموظفين المحافظين الذين كانوا يقفون دوماً ضد الاصلاح. وفي العرائض الاخرى، التي وصل بعضها للامبراطور ونشرت في بعض الصحف، كرر كانغ يويو، الحاجة للتجديد والاصلاح . كما أكد على العواقب الوخيمة لمعاهدة شيمونسيكي دعا الإمبراطور الى رفضها، وضرورة تدريب الجيش ووضع الخطط الاصلاحية موضع التنفيذ وانعاش اقتصاد البلاد واصلاح التعليم . ومن الناحية السياسة فأكد كانغ على ضرورة اختيار الإمبراطور لمستشاريه من بين المثقفين ورجال العلم المعهود أليهم بالكفاءة وضرورة تأسيس المجلس النيابي وإصدار الصحف وضمان حرية الرأي والتعبير وإنشاء مجموعة من الدوائر والهيئات لتنفيذ الاصلاح، واخذ الامبراطور يفتتح بهذه الأفكار على نحو تدريجي.

وقد شارك كانغ يووي في تلك المطالب العديدة من المثقفين من حملة لقب (جيوي رن أي شهادة البكالوريوس)، من خلال العرائض التي قدموها للسلطات المحلية، وقاموا تحت قيادة كانغ بتأسيس العديد من الجمعيات وإصدار الصحف والمجلات وتأسيس المكتبات ودور النشر والمدارس، فكان من أهم هذه الجمعيات، جمعية تشانغشيوه (تعلم كسب القوة)، وجمعية العقيدة المقدسة التي تأسست في ماكاو، وجمعية الجنوب، استهدفت هذه الجمعيات العمل على إيجاد سبيل لخلاص الصين من أزمته، اما الصحف فأولها كانت (صحيفة العالم) التي صدرت في بكين عام 1895، ثم تحول اسمها الى ( الإنباء العالمية والمحلية) أسهمت في اعادة نشر العرائض المقدمة الى العرش، وصحيفة المعرفة الجديدة في ماكاو، وصحيفة هونان، وصحيفة الأخبار في تيانجين، وصحيفة تشيلي اليومية وغيرها من الصحف . وجرى تأسيس دار رسمية للنشر في بكين قامت بترجمة العديد من الكتب والمقالات الاجنبية، وأقيمت عدد من المدارس التي تُدرس على وفق المناهج الغربية وعلى نحو عام جرى تأسيس 24 جمعية و18 مدرسة و7 مكاتب للصحف في المدة 1895-1898. وعد ذلك كله خطوة هامة دفعت حركة الإصلاح الى الامام وساعدت على تهيئة الرأي العام لتقبل الإصلاح في غضون ثلاثة أعوام.

وإرساء لفكرة الإصلاح وكسباً للمؤيدين، سعى الاصلاحيون للتأثير في موظفي البلاط وإقناعهم، وكان من نتائج ذلك ان انقسم البلاط على قسمين، قسم عارض الاصلاح وهم المحافظون ، والقسم الاخر التف حول الإمبراطور وهم الاصلاحيون ، الذين أيدوا فكرة الاصلاح ومعظمهم من جنوب الصين، وحظي هذا التيار، الذي فضل التفاهم مع اليابان، بدعم الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان، ضد التيار المحافظ الذي دعمته روسيا وترجمته تزوهسي والامير كونغ ولي هونغ تشانغ، ومعظم شخوصه من شمال الصين . والواقع ان هذه الدول التي دعمت التيارين الاصلاحى والمحافظ، كانت تعمل على إيجاد موطئ قدم لها في البلاط للحصول على الامتيازات.

وفي حزيران 1898 بلغ الإمبراطور كوانغ شيوي سن الرشد وتنازلت تزوهسي من الوصاية عليه، ظنا منها انه سيسير على خطاها لكنه اقتنع بالاصلاح وسيلة للحفاظ على عرشه . فدعا أعضاء المجلس الاستشاري الكبير وابلغهم رغبته في سلوك طريق الاصلاح . ثم اتبع ذلك بإصدار مراسيم الاصلاح، التي كان أولها في 11 حزيران. ثم بادر الى تعيين كانغ يووي مع عدد من أعيانه الاصلاحيين أعضاء في المجلس الاستشاري للإفادة من آرائهم في وضع خطط الاصلاح وصياغة المراسيم، ولزيادة التأثير على الإمبراطور قدم كانغ عدداً من الكتب تناولت تجارب الدول الاخرى في الاصلاح والتطور مثل (تاريخ تدهور تركيا) (الاصلاحات السياسية في المانيا) (الاصلاحات السياسية في بريطانيا) (بحث حول أصلح الميجي) (بحث الاصلاح السياسي الذي وضعه بطرس روسيا الاكبر). وحثه على زيارة اليابان والدول الاخرى للإطلاع على تجاربها . وهكذا بدأت الحركة الاصلاحية، التي عرفت بحركة أصلح المئة يوم، التي امتدت من 11 حزيران حتى 21 ايلول، وبلغ عدد المراسيم الإمبراطورية التي صدرت فيها أكثر من 110 مراسيم . استهدفت تحويل الصين الى دولة عصرية، من خلال تغيير مواد امتحانات الخدمة العامة الى البحوث العلمية . تأسيس نظام دراسي حديث وفق المناهج الغربية . وإنشاء مدارس وكليات خاصة في الهندسة والتعدين والزراعة والطب، وإنشاء جامعة في بكين، وإرسال البعثات الى الخارج . وفتح دور النشر لترجمة الكتب ونشرها ، وإصدار الصحف وحرية الكتابة والرأي . وحماية الزراعة والصناعة والتجارة وإنشاء سكك الحديد والبنوك

والخدمات البريدية، وإعادة النظر في كوادر الموظفين، إصلاح المالية العامة ووضع ميزانية للدولة على أسس جديدة، وإلغاء امتيازات ومخصصات أسرة المانشو، تدريب الجيش وتزويده بالأسلحة الحديثة.

والواقع أن معظم هذه المراسيم بقيت حبرا على ورق، لأسباب يتعلق بعضها بالإمبراطور نفسه، مثل رفضه إلغاء صلاحيته وإقامة ملكية دستورية وعدم تقهّم الاصلاحيين لقواعد الإصلاح والاكتفاء بإصدار القوانين دون تنفيذها، وأسباب أخرى تتعلق بمجابهة تيار المحافظين، الذين التفوا حول تزوهسي ورونغ لو فخططوا للقيام بانقلاب ضد الإمبراطور تم تنفيذه في 21 ايلول 1898 فقتل ستة من كبار رجال الإصلاح وهرب كانغ يووي وبعض أعوانه بمساعدة البريطانيين واليابانيين، الى هونغ كونغ ومنها الى اليابان، ونظموا فيها جمعية عرفت (جمعية حماية الإمبراطور) أخذت على عاتقها المطالبة بالإصلاح الدستوري.

اما الإمبراطور، فقد أمضى بقية حياته في احد سجون بكين بعد أن أعلنت تزوهسي بأنه مريض وغير قادر على إدارة شؤون الدولة وزورت مرسوماً باسمه قضى بوضع كل السلطات بيدها. وبفشل حركة الإصلاح تهيأ الوضع أمام التيار الثوري بقيادة صن يات صن لقيادة عملية التغيير.